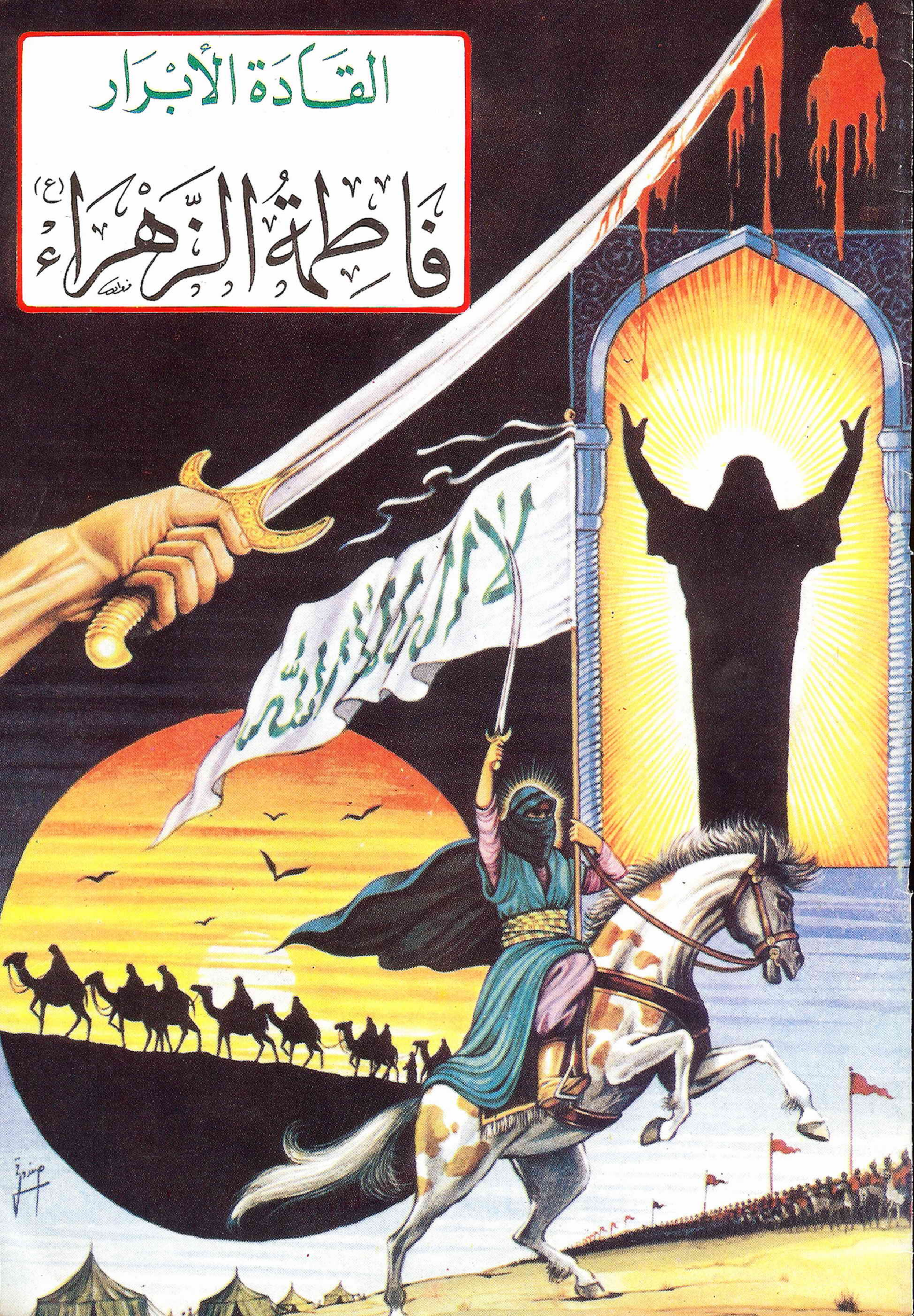

القادة الأبرار
فاطمة الزهراء (ع)

القَادَة الأبْرَار



الدار الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني: حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

فاطمةُ الزهراء
عليها السلام

فاطمة الزهراء (ع)

الاسم: فاطمة (ع)

اسم الأب: محمد رسول الله (ص)

اسم الأم: خديجة

تاريخ الولادة: ٢٠ جمادى الثانية (٨ سنوات قبل الهجرة)

محل الولادة: مكة المكرّمة

تاريخ استشهادها: ٣ جمادى الثانية السنة العاشرة للهجرة

محل استشهادها: المدينة المنورة

محل دفنها: المدينة المنورة

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمةُ الزهراءُ عليها سلامُ الله

يَذكُرُها المؤمنُ حينَ يَذكُرُ الطُّهرَ والنَّزاهةَ والفَضيلة.

يذكُرُها المظلومُ فيَسْلو وينسى ما يُعاني، حينَ يَذكُرُ ما عانَتْ الزَّهراءُ من الظُّلم، وما نَزَلَ بها من الأَذى.

تَذكُرُها الزَّوجةُ الصَّالحةُ حينَ تَذكُرُ حياتَها معَ أميرِ المؤمنين (ع) فَتَتَّخِذَهَا قدوةً ومثلاً.

تذكُرُها الأُمُّ حينَ تذكرُ ما قدَّمتْهُ للعالَمِ منْ أَئمةٍ أَبرارٍ معصومين، فَتُربِّيَ أبناءَها على نَهجِهم وسيرَتِهم.

يَذكُرُها الأَبُ حينَ يذكرُ كيفَ قام رسولُ اللهِ (ص) بتربِيتها ورِعايتِها كأفْضَلَ ما تكونُ التربيةُ والرِّعاية.

تلكَ فاطمةُ الزهراءُ عليها سلامُ الله، والتي سنَروي لَكُم قِصَّتَها.

امرأةٌ فاضلة

يَحسنُ بنا قَبلَ البدءِ بقصةِ فاطمةَ عليها السلام، أن نتذكرَ أُمَّها السيدةَ خديجةَ الكبرى.

كانت خديجةُ من أَغنى نساءِ عَصرِها، وكان الكثيرون من كبارِ مدينتِها يَتَمنَّونَ الزَّواجَ منها، طمعاً بِثرْوَتِها، لكنَّها أَقْدَمتْ على عَمَلٍ مُلفِتٍ للأنظار، فقد اختارَتْ محمداً الأمينَ زوجاً لها، من بينِ أعيانِ المدينةِ وأَشرافِها، رغمَ أَنَّه لم يكنْ منَ الأثرياء.

أثارَ فعلُ خديجةَ سُكَّانَ المدينةِ، نساءً ورجالاً، لكنَّها لم تَهتمَّ بِهِم، ولم تَرجِعْ عن قَرارِها.

لقد اختارتْ - في الحقيقةِ - أفضلَ الرِّجالِ شريكاً لحياتِها، لكنَّ أكثَرَ النَّاسِ كانوا يجهلون هذه الحقيقة، وكان هذا التَّصَرفُ منها دليلاً على حُسْنِ إدراكِها، فلا عَجَبَ إذَنْ، أن تنشأَ في أحضانِ امرأةٍ فاضلةٍ كخديجة، ابنةٌ كريمةٌ كفاطمة.

العُزلة

عاشَ محمَّدٌ (ص) وخديجةُ حياةً هادئةً مطمئنَّةً سنينَ عديدة، حتَّى بُعِثَ صلى الله عليهِ وآلهِ نبياً، وكانتْ خَديجةُ

أوَّلَ امـرأَة آمَنَتْ بِهِ ودافَعَتْ عنـه. ونَتيجةً لـذلك فقـد أَظهَـرَ أعيانُ المدينةِ وأشرافُها عداوَتَهم لمحمَّدٍ وخَديجـة، وفرضـوا عليهما عُزلةً خانِقَة.

تحمَّلتْ خديجةُ هذه المصاعبَ في سبيلِ اللَّهِ ورسولِهِ، وشـاركتْ محمداً (ص) آلامَـه وَوَحـدتَه، وصـرَفَتْ عنـهُ من الهُمومِ ما استطاعتْ، وضَحَّت بالكثيرِ قُربَـةً إلى اللَّهِ تعالى، فكـانت بحقٍّ زوجـةً تَقيَّـةً وَرِعـة، تعـرفُ اللَّهَ حقَّ مَعـرِفتِـه، وَتَتَوجَّهُ إليه في كلِّ شيء.

الولادة

ظَهـرتْ في الأُفقِ تَباشيـر، آذَنَتْ بِقربِ انتهـاءِ العُـزلـةِ، حينَ شعرتْ خديجةُ بِحركةٍ في أحشائِها، تُبَشِّرُ بوليدٍ جديد.

وفي ليلتِها الأَخيرةِ من الحمْلِ، وآلامُ الوِلادةِ تَشتَدُّ بها، بَعَثَتْ إلى القَوابِلِ من قُرَيشٍ فأَبَيْنَ أن يَأْتينَها ويُساعِدْنَها.

عِند ذاكَ وقَع أمرٌ عجيب، هوَ في نَظَرِ النَّاسِ عَسير، لَكِنَّه علَى اللَّهِ يَسيـر، فقد شَـعَّ النورُ فجـأَةً في غُـرفـةِ خَـديجـة، وظهـرتْ أربعُ نِسـوةٍ، تُحيطُ بِـوجـوهِهِنَّ هـالاتٌ من النـور، وجلسْنَ إلى جـانِبهـا بعـدَ أن أَلْقَيْنَ عليهـا السَّـلام، وبـادَرْنَ بالقولِ بِلُطف: «لا تخافي يا خـديجة، إنَّنـا ضيوفٌ من عنـدِ

الله». هدأ روعُ خَديجة بعدَ خـوف، وسَكَنَتْ نَفْسُها، وَوسْطَ هالةٍ من النُّور، وضَعَتْ وليدَتَها فاطمة.

سَيَعجبُ الكثيـرون لو عَـرفـوا أنَّ النِّسْـوةَ، لم يَكُنَّ إلا: «سـارةُ» زوجةُ إبـراهيم و«آسيـةُ» زوجـةُ فِـرْعَـوْن و«مَـريمُ» أُمُّ عيسى و«كَلْثَم» أُختُ مـوسى. لكنَّ العَجَبَ العُجاب هـو منْ أولئكَ الَّذينَ ما زالوا يَجْهلونَ أَبعادَ عالَمِ الإنسان، أو يَغْفَلونَ عن قُدرةَ اللَّهِ الباهرة، يا ليتهم كانوا يفْقَهون.

فاطمة

نعم... هكـذا وُلِـدتْ فـاطمـةُ عليهـا السَّـلام، وفي أحضانِ الرَّسولِ وخديجةَ كَبِرَتْ وتَـرعْرعَتْ. وكـانَ لرسـولِ اللَّهِ غيرَ فاطمةَ بناتٌ ثَـلاث: رُقَيَّةُ وأُمُّ كُلثـوم، اللَّتانِ تـزوَّجَتا من «عُتبـة» و «عُتَيْبَة» ولـدَيْ أبي لَهَب، وعاشَتـا زمناً مـع «أُمِّ جَميـل» امـرأةِ أبي لهب، وأُختِ أبي سُفيـان. والثـالثـةُ هي زينب، زوجةُ «العاص» أحدِ أَعداءِ الرَّسول. وقد طُلِّقَتْ رُقَيَّةُ وأمُّ كُلثـومٍ من زَوْجَيْهِمَـا، بـأمْـرٍ منْ أبيَ لهب، وعـادَتَـا ليُزوِّجَهما الرَّسولُ، الواحدةَ بعـدَ الأخرى من «عُثمـان» حيثُ تُوُفِّيَتا في بيتِه، دونَ أنْ تُنجبا منه.

والابْنةُ الوحيدةُ التي بَقِيتْ في بيتِ الرسـولِ (ص) هي

فاطمةُ عليها السلام. والحقُّ أنَّ فاطمةَ كانتْ نَموذَجاً آخر.

باختصارٍ نقول، إنَّ فاطمةَ كانت بِضْعَةً من رسولِ الله، أخذتْ عنهُ الكثيرَ من صفاتِه الحميدة، ومزاياهُ النَّادِرة.

ما إنْ بدأَتْ أيَّامُ الشِّدةِ بالزوال، وأيقَنَ الناسُ من نَجاحِ الدَّعوة، حتى تهافَتَ الكِبارُ والأعيانُ، على الرَّسول يطلُبُونَ يَدَ وَحيدتِه، طَمَعاً بالمقامِ العالي، بالقربِ من رسولِ الله. لكنَّه كانَ معروفاً تمامَ المعْرِفة أنَّ فاطِمةَ هي لِعَليٍّ. فعليٌّ هو ابنُ عَمٍّ رسولِ الله، ورفيقُه ونصيرُه، صاحبُ المكانةِ العاليةِ من الإيمانِ والعلمِ والتقوى.

ودارت الأيام، وادَّخَرَ القدرُ الواحِدَ منهما للآخر، وشاءَ لهما أن يلتَقيا كما يلتقي بحرانِ كبيران. لِيُقدِّما للعالَم أطهَرَ اللآلِىء، **﴿مَرَجَ البَحرَيْنِ يَلتَقِيان... يَخرُجُ مِنْهُما اللؤلؤُ والمَرجان﴾**. الرحمن - ١٩ و ٢١.

في أحدِ الأيام، وفي جمعٍ ضَمَّ عدداً من كبارِ المسلمين، في مَسجِدِ الرَّسول، دارَ الحديثُ حولَ فاطمة (ع) وحيدةِ الرَّسول. قالَ أبو بكر، وكان من بينِ الحُضور: «لقد تَقدَّم الكثيرونَ من كِبارِ المُهاجِرينَ والأنصارِ يخطُبونَ فاطمة، لكنَّ رسولَ اللّهِ لم يُعْطِهم جواباً شافياً، وقد سَمِعْتُ

أنَّ عليًّا لم يتقدَّمْ لِخُطبَتِها، وأَعْتَقِدُ أنَّهُ لو فعَلَ، لما رَدَّ الرَّسولُ طلبَه». قالَ سعدُ بنُ مُعاذ، رئيسَ قبيلةِ الأوس: «هَلُمُّوا إلى عليّ، عَسانا بتوفيقٍ منَ الله، نُحقِّقُ الخيرَ في مسعانا».

خَرَجَ الصحابةُ من المسجدِ في طلبِ عليّ، فوجدوهُ خارجَ المدينة، وكانَ يَسحبُ ماءً من بئرٍ قريبة بواسطةِ جَمَلِه، لِيَروِيَ بُستاناً يملِكهُ أحدُ الأنصار، وهكذا كانَ عليٌّ يَعملُ في جَلبِ الماءِ وسقايةِ الأرض. ولمَّا رأى الصحابَةَ قادمين نحوَه، طرحَ مِعْوَلَهُ جانباً، ووقف ينتظر لِقاءَهُم. بعدَ السَّلام، خاطبَهُ أبو بكرٍ قائلاً: «أخي يا عليّ، لقد اجتمعَ فيكَ كلُّ ما يرضي اللَّهَ والنَّاس، وقد حانَ الوقتُ لأن تَجِدَ لَكَ زوجة، ولَعلَّ فاطمةَ وحيدةَ الرَّسولِ تكونُ من نَصيبِك، لأنَّ كلَّ من راحَ يخطُبُها لنفسِه، لم يلْقَ مِنَ الرَّسولِ قبولاً، ويبدو لي أنَّ اللَّهَ ورسولَه قد اختارا فاطمةَ لكَ أنت».

ما إن سمعَ عليٌّ هذا الكلام، حتى تحرَّكَ في نفسِهِ أمرٌ كانَ يكتُمُهُ، ويَطوي عَليهِ قلبَه. فقد كانَ يتمنَّى التَّقرُّبَ إلى رسولِ اللَّهِ بِخُطبةِ ابنتِهِ فاطمةَ لنفسِهِ، غيرَ أنَّ الحياءَ وخُلوَّ يدِه من مَهرٍ يُقَدِّمُه، كانا يمنَعانِهِ من الإقدام، لكنَّهُ الآنَ عَزَمَ

فَتَـوكَّل، وتـوجَّهَ إلى بيتِ الـرَّسول (ص)، وصـارَحَهُ بمـا في نفسِه.

أشرقَ وجهُ الرَّسولِ لدى سماعِـهِ طلبَ عليٍّ وقال: «يـا عليّ، قـد ذكَرَهـا قبلَكَ رِجال، فَـذكَرْتُ ذلـك لهـا، فَـرَأَيْتُ الكَراهةَ في وَجْهِهَا. ولكنْ، على رِسْلِكَ حتى أَخْرُجَ إليك».

دخلَ النبيُّ إلى ابنتِه وفاتَحَها بالأمرِ قـائلاً: «يـا فاطمـة، إنَّ علياً بنَ أبي طالبٍ مَنْ قد عَرَفْتِ قَـرابَتَه وفضلَه وإسـلامَه، وإنِّي قد سَأَلْتُ رَبِّي أنْ يُزَوِّجَكِ خيرَ خَلقِه وأَحبَّهم إليـه، وقد ذَكَرَ عن أَمرِكِ شيئاً، فما تَرَيْن»؟ فسكتَتْ ولمْ تُوَلِّ وجهاً، ولم يرَ فيها رسولُ اللَّهِ (ص) كراهةً فقامَ وهـو يقول: «اللَّهُ أكبـر، سُكوتُها إقرارُها».

دِرعٌ مَهرُ عَروس.

خرجَ الرسولُ إلى حيثُ تركَ علياً، وبادَرَهُ والسُّـرورُ يعلو مُحيَّاهُ قائلاً: «هل مَعَكَ شَيْءٌ أُزَوِّجُكَ به»؟ قالَ عليٌّ: «فِداكَ أبي وأمِّي، واللَّهِ لا يخفى عليـكَ منْ أمـري شَـيء، أَمْلِكُ سَيفي ودِرعي وناضِحي». (الجملُ الذي يَنْضَحُ ويَسْحَبُ بـه الماءَ)قالَ النبيُّ: «أَمَّا سيفُك فلا غِنى بك عنه، تُجاهِدُ به في سبيلِ اللَّه، وتُقاتِلُ بِهِ أَعداءَ الله، ونَاضِحُـكَ تَنْضَحُ بـه على

نَخْلِكَ وأَهْلِكَ، وتَحمِـلُ عليه رَحْلَكَ في سَفَـرِك، ولكنِّي قـد زَوَّجتُـكَ بـالـدِّرع، ورَضيتُ بِهـا مِنْـك، بِـعِ الـدِّرعَ وأْتِني بالثَّمن».

بـاعَ عليٌّ الـدِّرعَ بـأربَعِمـائـةٍ وثَمـانِينَ درهمـاً، وجـاءَ بالدَّراهمِ إلى النَّبيِّ وطَرَحَها بين يَـدَيْه، وتَمَّ الـوِفاقُ على أن يكـونَ ثَمَنُ الدِّرعِ صَـداقاً لأَشْـرَفِ فتـاة، وأَفْضَـلِ أُنثى في الكَوْن، هي سيدةُ نساءِ العالَمين.

قَسمَ النبيُّ المبلغَ أَثلاثاً، ثُلُثاً لشراءِ الجِهاز، وثُلُثاً لشراءِ العِطْرِ والطِّيب. وثلثاً تَركَـهُ أمانـةً عندَ أُمِّ سَلَمـة، ثم رَدَّهُ إلى عليٍّ قُبَيْلَ الزَّفاف، لِيَسْتَعينَ به على تَهيئَةِ الطَّعام.

أعطى النبيُّ مقداراً من المـالِ لعمارِ بنِ يـاسر وسلمـانَ وآخرين قائلاً له: «إشتَـرِ بهذه الـدراهمِ لابنتي ما يَصْلُحُ لهـا في بيتِها».

تَمَّ شـراءُ لـوازمِ البيت، وكـانتْ عبـارةً عن: قميصٍ بِسبعـةِ دَراهم، وَغِـطاءٍ للرأسِ بـأربعـةِ دَراهم، ودِثـارٍ (مـا يَتَغَطى بـهِ النـائمُ) من صُنْـع خَيْبَر، وسَـرِيـرٍ من الخَشَبِ. وفِراشَيْن منْ أَليافِ النَّخيلِ والصُّوف، وأربعِ قِصاعٍ للطَّعامِ مِنْ صُنـعِ الطَّائِف، وغِـطاءٍ من الصُّوف، وحَصيـرٍ ومَـطحَنَـةٍ

يَـدَويَّة، وَوِعـاءٍ للحِنَّاء، وآخَـرَ نُحـاسيّ، وقـربـةِ مـاءٍ وقِـدرٍ للحَليب، وإبريقٍ للماء، وكوزينِ من الفَخّار، وأَشيـاءَ أُخرى من هـذا القبيلِ ، جيءَ بهـا إلى الرَّسـولِ فَتَفَحَّصَها وأعـرَبَ عن رِضـاهُ بهذا الجِهـازِ المُتَواضِـع قائـلاً: «بارَكَ اللَّهُ لأهـلِ البيت».

بعد شهر

اجتمع لدى النبيِّ أُناسٌ من قريشٍ فَقالوا: إنَّـكَ زوَّجتَ علياً بِمَهرٍ خَسيس، فقالَ (ص): «ما أَنـا زوَّجتُ عليّاً، ولكنَّ اللَّهَ زَوَّجَهُ ليلةَ أُسْرِيَ بي عِندَ سِدرَةِ المُنتَهى».

ومَضى شَهر، وفاطمةُ ما تَزالُ في بيتِ أَبيها، أمَّـا عليّ، فكانَ بعدَ أَدائِـهِ الصَّلاةَ مـعَ الرَّسـول، يَمضي إلى بيته، دونَ أن يعودَ إلى الموضوعِ ثانية. وفي أحدِ الأَيـام الْتقَتْهُ أُمُّ أَيْمن ومعهـا بَعضُ النِّسوة، وسـأَلَتْهُ إنْ كـانَ يرغَبُ في أن تَتَحـدَّثَ إلى النَّبيِّ وتَفْصِلَ مَوضوعَ الزَّواجِ مَعَه، فَرَدَّ بالإيجابِ مُرَحِّـباً بمسعاها. فَقَصَدتْ رسولَ اللَّهِ معَ صاحباتِها وخاطبَتْه قـائلة: يا رسولَ اللَّه، لو أَنَّ خديجةَ باقيةٌ لَقَرَّتْ عَينُها بزَفافِ فاطمة، وإنَّ علياً يُـريـد أهلَه، فَقُـرَّ عينَ فـاطمـةَ بِبَعْلِهـا، واجْمـعْ شملَهُما، وقُرَّ عيونَنا بِـذلك، فقـالَ (ص): «فما بـالُ عليٍّ لا

يَسـأَلُني ذلك»؟ قـالتْ: الحيـاءُ منـكَ يـا رسـولَ اللَّه. فقـالَ (ص): اِنـطَلقي إلى عليٍّ فـأْتيني بِــهِ. وحضَـرَ عليٌّ وجلَسَ مُطرقاً نحوَ الأرضِ حياءً، فقالَ له: أَتُحِبُّ أن تُـدخِلَ عليـكَ زوجَتَك؟ قالَ: نعم، فِدَاكَ أبي وأُمِّي! قالَ: نعم، وكَرامة!

مجلسُ العرس

طلبَ النبيُّ إلى أُمِّ سلمةَ أن تُجهِّزَ غـرفةً لِفـاطِمة، كمـا طلبَ من النِّسوةِ أن يَتزَيَّنَّ ويُزَيِّنَّ فاطِمـة، فاهْتَمَّتْ كُـلٌّ مِنْهُنَّ بِعمـل. فواحـدةٌ صَفَّفَتْ شَعرَهـا، والثانيـةُ اهتمتْ بِثِيـابِهـا، والثَّالثةُ رَشَّتْها بالعُطور.

كما تمَّ تحضيرُ الطَّعام، فَـذُبِحَتْ شاةٌ وطُبِخَتْ، وحَسَـرَ النبيُّ عن ذِراعَيْـه، وجعـلَ يفـرُكُ التَّمرَ بــالسَّمن، بمثـابــةِ الحَـلْـوى بينمـا أسـرعَ عليٌّ إلى المسجـد، وكـانَ يَغُصُّ بالمسلمين فخاطَبَهم بصوتٍ عالٍ قائلاً: أيُّها الناس، أَجيبـوا إلى وَليمةِ فاطمةَ بنتِ محمدٍ (ص).

توجَّه جَميعُ من في المسجدِ إلى بيتِ النبيّ، وكـانَ عددُ من لبَّى الـدَّعوةَ يفـوقُ عَدَدَ الـذينَ حضروا معـركةَ بـدرٍ قَبـلَ بِضعةِ أَيَّام.

بعدَ انقضاءِ قسمٍ مِن اللَّيـل، وكانَ الضيـوفُ قد تنـاولوا

العَشاء وغادَروا البيت، اِلتفتَ الرَّسولُ إلى نسـاءِ بني هاشم، ونسـاءِ المهاجـرينَ والَأنصـارِ وطلبَ إليهِنَّ أنْ يَمشينَ بِـرِفْقَـةِ فـاطمة، حتى يُـوصِلْنَهـا إلى بيتِ عليٍّ، وأوْصـاهُنَّ بـالشَّـدْوِ والجهرِ بالتكبيـر، مُحذِّراً إيَّـاهُنَّ من ترديـدِ كلمات لا تُـرضِي الله.

في بيتِ عليّ

ما إن تَجهَّزَ النِّسْوةُ للمسير، حتى أَركَبَ الـرسولُ بنفسِـه ابنَتَه على بَغْلَتِهِ الشَّهباءِ، وسَلَّمَ زِمامَها إلى سَلمانَ الفارسيِّ، وسـارَ خلفَهما حمـزةُ وعقيلٌ وجعفـر، وغيـرهُمـا من أقـربـاءِ الرَّسول، وقد امتَشَقُوا سُيوفَهم يَمْشونَ الهُوَيْنا إلى بيتِ عليّ، بينمـا كانتْ زوجـاتُ النَّبي، ونسـاءُ المهـاجـرينَ والأنصـار، يَمشينَ وهُنَّ يُنْشِـدْنَ الأهازيـج في حين قَدَّمَتْ كُـلٌّ من نساءِ النبيِّ أبيـاتاً من الشعـر، هَديَّـةً للعـرِوس، وكـانتْ أبيـاتُ أُمِّ سَلَمة هي الَأفْضلَ والأبلغ. وهكـذا حتَّى وصلَ المـوكبُ إلى بيتِ عليّ، وتعالتْ صَيْحاتُ التكبير، وقامَ الرِّجالُ بمصـافَحةِ عليٍّ مُبـارِكين، ثم نادى النبيُّ عليـاً إليه، وأخَـذَ يَـد فـاطمـةَ وَوَضَعها في يَدِ عليٍّ قائلاً: «بارَكَ اللَّهُ في ابنةِ رسولِ اللَّه». ثم دعا لهُما قـائلاً: «اللَّهمَّ بـارِكْ فيهما، وبـارِكْ عَليهِما. . .

وإنّي أُعيذُهُما بكَ وَذُرِّيَّتَهما من الشَّيطانِ الرَّجيم».

وقامَ أصحابُ الرَّسولِ بتقديمِ الهدايا إلى العروسَين الجديدَيْن. وهكذا تَمَّ زواجُ عليٍّ من فاطمة، بعدَ أيَّامٍ من معركةِ بَدْر، و ﴿ذلك فَضْلُ اللَّهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ، واللَّهُ ذو الفَضْلِ العَظيم﴾. الحديد ـ الآية ٢١.

الحياةُ الزَّوجيةُ

منذُ ذاك، عاشَ عليٌّ وفاطمةُ في بيتِهما المتواضِع، عيشَةً مِلْؤُهَا الحُبُّ والهَناء، وكانَ النبيُّ في كلِّ مُناسَبةٍ يزورُهُما ويجلِسُ إليهِما، ويوصِيهما بالصَّبرِ والاسْتِقامَة، ومِمَّا قالَهُ لابْنَتِهِ يوماً: «إنَّ اللَّهَ اخْتارَ منْ أهلِ الأرضِ رَجُلَيْن، أَحَدُهُما أبوكِ والآخَرُ زَوجُك».

كانتْ فاطمةُ زوجةً صالحة، فلمْ تكنْ لِتَحزَنَ إن غابَ زَوجُها للجهادِ في سبيلِ اللَّهِ، وما كانَ أكثَرَ غِيابِه! كانتْ تُهَيِّىءُ لهُ عُدَّةَ الحربِ ولوازمَ السَّفر. كما كانت تَبُثُّ فيهِ الشَّجاعةَ، وتُشَدِّدُ من عزيمتِه وعَدمِ تَهَيُّبِه من الموتِ في سبيلِ اللَّهِ. وما أحرى بِكُلِّ زوجةٍ مُسلمةٍ أن تجعَلَ من بنتِ الرَّسولِ قُدوةً حَسَنَةً، وأُسْوَةً صالِحة.

كانتْ تعيشُ مع عليٍّ (ع) في جَوٍّ تكْتَنِفُهُ القَداسةُ

والنَّـزاهَة. وَتُحيطُ بـه عَظَمـةُ الزُّهـدِ وبَساطَـةُ العَيْش، وكانتْ عليها السَّلامُ تَعرِفُ لِزَوجِها مكانَتَـهُ العُظمى، وَمَنْـزِلَتَهُ العُليـا عندَ اللَّهِ تَعالى، وَتَحتَرِمُهُ كما تَحتَرِمُ المرأةُ المسلمةُ إمـامَها، وتُطيعُهُ كمـا يَنبَغي، لأنَّهُ أعَـزُّ الخَلقِ إلى رسولِ الله، وأخـوهُ وخَليفتُه وَوَصِيُّه،

وكانَ عليٌّ عليه السلامُ يحترِمُها ويُجِلُّها، لا لأنَّها زوجتُه فقط، بـل لأنَّهـا أَحَبُّ الخَلقِ إلى رســولِ الله، نـورُهــا من نورِه، وصبرُها من صبرِه، وتواضُعُها من تواضُعِهْ، لأنَّها سيِّدَةُ نِساءِ العالَمين.

لقـد عاشتَ حيـاةً لا يُعَكِّرُهـا الفقْر، ولا تُغَيِّـرُها الفـاقَـة (الفَقْرُ الشَّديـد) كانتْ تَقـومُ بأعمـالِ البيتِ، وتَطْحَنُ القمحَ والشَّعير حتى تَدمى يَداها الطَّاهِرتـان، وتَعجُنَ وتَخبُز. كـانَت الزَّوجةَ المسلمةَ المِثالَ.

كـانتْ إلى جانبِ هـذا لا تنسى واجِبَهـا في الجهـادِ في سبيـلِ الله، ففي وقعةِ أُحُـدٍ وقَفَتْ فاطمـةُ تَغْسِلَ جبينَ أبيهـا الـطَّاهِـر، وتُبَلْسِمُ جِـراحـاتِ عليّ، لم تكن ـ كـالكثيـرِ من النِّســاء ـ تُبدي أَيَّ عَجـزٍ أَو حُزنٍ أو بُكـاءٍ أيَّامَ الشِّـدَّة، لأنَّها كانتْ امرأةَ عَملٍ وجِهادٍ، لا امرأةَ عَويلٍ وَبُكاء.

أَجرُ الرِّسالة

في السَّنـةِ الثالثـةِ للهجرة، رُزِقَتْ فـاطمةُ ولَـدَهـا البِكـر وأَعـطاهُ الرَّسـولُ اسْمَ «حَسَنْ»، كمـا رُزِقَتْ ابنَهـا الثَّـانيَ في السَّنـةِ التاليـة، وسُمِّيَ «حُسَيْناً» أي «الحَسَنَ الصَّغيـر». وكانَ سُرورُ النبي بِمقدَمِ هذين الولـدين عظيمـاً، فقد كـانا حقـاً، بِمثـابَةِ أَجـرٍ للرسالـة، وتَعويضٍ عن المشـاقّ، التي تَحَمَّلها رسـولُ اللّه، في سبيـلِ هـذهِ الـرسـالـة. ومِمَّـا قـالـه (ص) بِحَقِّهِمـا: «الحسنُ والحُسينُ، ابْنـايَ وَرَيْحـانَتـايَ، وسَيِّـدا شَبابِ أهلِ الجنَّة».

التَّطهير

في أحـدِ الأيـام، وبينَمـا كـانتْ فـاطمـةُ وعليٌّ والحسنُ والحسينُ في بيتِ أُمِّ سَلَمـة، نزلَ مَـلاكُ الرَّحمن، وتـلا هذه الآية: ﴿إنَّما يُـريدُ اللّهُ لِيُـذهِبَ عنكُمْ الرِّجسَ أهْـلَ البيتِ، ويُـطَهِّرَكُم تَـطهيراً﴾ الأحـزاب ـ ٣٣. ولما نَـزَلتْ هذه الآيـةُ تنـاوَلَ النبيُّ كِساءً ودَخَـلَ تحتَهُ، مـع عَليٍّ وفـاطمـةَ والحسنِ والحُسين، وقالَ: «اللّهُمَّ إنَّ هؤلاءِ أَهْـلُ بَيتي وخَـاصَّـتي، وحـامَّتي، لَحمُهم لَحمي ودَمُهم دمي، يُؤلِمُني مـا يُؤلِمُهم ويُحـزِنُني مـا يُحـزِنُهم، أنـا حَرْبٌ لمن حـارَبَهم وسِلْمٌ لمن

سالَمَهم، وَعَدُوٌّ لمن عاداهم، ومُحِبٌّ لمن أَحَبَّهم، إنَّهم مِنّي وأنـا مِنْهُم، فاجْعـل صَلواتِكَ وبَـركاتِـكَ ورَحمَتكَ وغُفـرانَكَ ورِضـوانَـكَ عَليَّ وعَليْهِم، وأَذْهِبْ عنهم الـرِّجسَ وطَهِّـرْهُم تَطهيراً».

وكانتْ حياتُهم فِعـلاً مُنَزَّهـةً عن الخطأِ والـزَّلل، وكـانتْ خِصالُهُم العظيمةُ آيةً من آياتِ اللَّه، للنَّاسِ جميعاً، عالِمِهم وجاهِلِهم، ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يَتفكَّرون.

غضبُ فاطمةَ من غضبِ اللَّه

مِن هُنـا كان اهتمـامُ النبيِّ بفـاطمـة، وعِنـايَتُـهُ بهـا، لا لِكَـوْنِهـا ابنَتَـه ـ والـرَّسـولُ أَجَـلُّ من أن يَهتَمَّ بـأحـدٍ لمجـردِ النَّسبِ ـ بل لأنَّها كانتْ إنسانةً تَعرِفُ اللَّهَ حقَّ مَعرِفَتِه، وكانتْ تَتَجلَّى فيها صفاتُ الـرَّسولِ الأكـرَم، ولأنَّ اللَّهَ سُبْحانَـهُ أشارَ إلى أنَّ فاطمةَ الطَّاهِرةَ المُطَهَّرةَ، سَتكونُ أُمًّا لأحَدَ عَشَرَ إمـاماً مَعصوماً، وقد بَيَّنَ الرسولُ مَرَّاتٍ هـذه المزايـا وَنَوَّهَ بهـا، قالَ يوماً أَمـامَ جَمعٍ من كبـارِ المُسلمين، وكما ورد في صحيـحِ البُخاريّ: «فاطمةُ بِضْعَةٌ مِنِّي، فَمنْ أغضَبَهـا فقدْ أَغْضَبَني». وخـاطَبَها مـرَّةً قائـلاً: «يـا فـاطمـةُ، إنَّ اللَّهَ يَغضَبُ لغَضَبِـكِ ويَرضى لِرِضاكِ».

ما بعدَ الأبِ

شارَفتْ الأيَّامُ السعيدةُ على نِهايَتِها، إذ مَرِضَ رسولُ الله مَرَضاً شَديداً، وما لَبثَ أن أَطبَقَ عَيْنَيهِ الكَـريمتين وانتقلَ إلى جوارِ رَبِّه، وبدأَتْ رِحلةُ فاطِمـةَ معَ المصـاعِب والآلام، لأنَّ كُلَّ شَيءٍ تغيَّر، ومَرَّةً واحدة، بعدَ رَحيلِ النبيِّ الأَكرم.

فقد عَيَّنَ جَماعةٌ من الصَّحابةِ أَبا بكرٍ خَليفة، وبايَعَهُ أكثرُ النَّـاسِ إثْرَ ذلـك، أمَّا عليٌّ عليـهِ السلامُ، فكـانَ يَـرى بعـدَ ارْتحالِ الرَّسول، أَنَّ الإسلامَ بِحاجَةٍ ماسَّةٍ لِـوَحدَةِ المُسلمين ورَصِّ الصُّفوف، لِذا فقـدْ اخْتارَ الصَّمت، ولم يُـطالِبْ بِحقِّه في الخِـلافـة، حِـرصـاً على هـذه الـوَحـدة، والَّتي مـا يَـزالُ الإسلامُ بِحاجَةٍ إليها، وسَيَبْقى إلى يومِ الدِّين.

لكنَّ فاطمةَ عليها السلام. كانتْ ترى منْ واجِبها أن تُنَبِّهَ النَّاسَ إلى الخطأِ الذي وقَع، فقَصَدَتْ مَسجِدَ أبيها الرَّسول، حيثُ كـانَ الأَنصارُ مُجتمعين إلى الخليفـة، وهُنـاكَ أَوْضَحَتْ أَمـامَ الملإِ حَقَّ الإمـامِ عليٍّ (ع). وحذَّرت النَّـاسَ من سـوءِ العاقبةِ إذا حَلَّت الفُرقَةُ بَينهُم مَحلَّ الوَحـدة، التي كانتْ أيَّـامَ رسـولِ الله. فَالمُستَقبـلُ يُنـذِرُ بِشَـرٍّ كَبيـر، إنْ اخْتـارَ النَّـاسُ السُّكوتَ عَنْ الحقِّ. كما أَوضَحَتْ أَنَّ مَـزرعةَ «فَـدَك» تَخُصُّ

آلَ الرَّسول، وليستْ ملكاً لِعامَّـة المُسلمين، كما قيـل، وابْنَةُ الرَّسولِ الكريمِ وَبِضْعَتُهُ أَجَـلُّ وَأَنْزَهُ منْ أنْ تستـوليَ على ما ليس مِنْ حَقِّهـا. إنَّه لَلْعَجَبُ العُجـاب، أن تُتَّهَمَ بنتُ رسولِ اللَّهِ بِهـذه التُّهمةِ الـظَّالمة! أَلَيْسَتْ مِمَّن طَهَّـرَهُم اللَّهُ وأَذْهَبَ عَنهُم الرِّجْس؟ أليستْ مِمَّن ﴿. . . **يُطعمونَ الطَّعامَ على حُبِّهِ مِسْكيناً وَيَتيماً وَأَسيراً**﴾؟ (الدهر ـ ٨).

﴿**فَبأَيِّ حَديثٍ بَعدَهُ يُؤمِنون**﴾؟! (الأعراف ـ ١٨٥).

فاطمةُ على فراشِ المرض

بعد هذه المتاعبِ الشَّديـدة، ارْتَمَتْ فاطمـةُ في أحْضانِ المـرض. واخْتارَتْ طـريقَ الصَّمت والاعْتِزال، فجـاءَ بعضُ نِساءِ المُهاجرينَ والأنصارِ لِعِيـادَتِها، ولمَّـا سَأَلْنَهـا عن حالِهـا أجـابَتْ بعـدَ أنْ حَمِـدَتْ اللَّهَ وصَلَّتْ على أَبيهـا: «أَصبحتُ واللَّهِ عائِفَةً لِدُنياكُنَّ، قالِيةً لِرجالِكُنَّ. . . وبِئْسَ ما قَدَّمتْ لَهُمْ أَنْفُسُهم. . . ومَـا الذي نَقَمـوا مِنْ أبي الحَسَنْ؟! نَقَمـوا منـهُ واللَّهِ نَكيـرَ سَيفِه. . وَتَنَمُّـرَهُ في ذاتِ اللَّهِ عَزَّ وجـلَّ. . . ﴿**أَلا إنَّهم هُم المفسدون ولكنْ لا يَشْعُرون**﴾، ﴿**أفَمَنْ يهدي إلى الحقِّ أَحقُّ أن يَتَّبِعَ أَمْ من لا يَهِدِّيَ إلاَّ أَنْ يُهـدى، فما لَكُمْ، كَيفَ تَحكُمون**﴾؟ (يونس ـ ٣٥)

لمَّـا سمِعَ الـرِّجـالُ قَـولَهـا، جـاءَ إليهـا قـومٌ من وُجـوهِ المهاجرينَ والأنصارِ مُعتَذرينَ، وقـالوا: يـا سيِّدَةَ النِّسـاء، لو كـانَ أبو الحَسَنِ ذَكَـر لنا هـذا الأمرَ منْ قبـلِ أنْ نُبرِمَ العَهـدَ ونُحكِمَ العَقْـد لما عَـدَلنا إلى غَيـرِه!! فقـالتْ: «إليكمْ عنِّي! فلا عُذْرَ بَعدَ تَعذيرِكمْ، ولا أَمْرَ بعدَ تَقصيرِكم».

الرسالةُ الأخيرة

لما اشتدَّتْ وطأةُ المرضِ على الزَّهراءِ قـالتْ لِزَوْجِهـا: «يـا ابنَ عمٍّ، إنَّه قـد نُعيتْ إليَّ نفسي، وإنَّني لا أرى مـا بي إلَّا أنَّني لاحِقةٌ بأبي ساعةً بعد ساعة، وأنا أوصيكَ بأشياءَ في قلبي». قـالَ عليٌّ: «أوصيني بمـا أحببْتِ يـا بِنتَ رَسـولِ اللَّهِ...» قد عزَّ عليَّ مُفارقَتُكِ وفَقْدُكِ... واللَّهِ لقد جَـدَّدْتِ عَليَّ مُصيبَـةَ رسـولِ اللَّهِ... أوصيني بِمـا شِئْتِ فـإنَّـكِ تجدينَني وَفيّاً، أُمضي كُلَّ ما أمرتِني به، وأختارُ أمرَكِ على أمري».

قالتْ: «ادفنِّي في الليلِ... وعَفِّ مـوضِعَ قَبـري، ولا تُشْهِدْ جَنازتي أحداً مِمَّن ظَلَمَني».

«يـا ابنَ عَمٍّ، إنْ أنتَ تزوَّجتَ امـرأةً بَعدي فـاجْعَلْ لَهـا يوماً ولَيلة، واجْعَـلْ لأولادي يَومـاً وليلة، يا أبـا الحَسَن، ولا

تَصِحْ في وُجوهِهِما فيُصبحانِ يَتيمينِ غريبَيْنِ مُنكَسِرَيْن، فإنَّهما بالأمسِ فَقَدا جَدَّهُما، واليومَ يَفقدانِ أُمَّهُما، فالويلُ لأُمَّةٍ تَقْتُلُهما وَتُبْغِضُهُما».

ثُمَّ قامتْ عَليها السلام، فاغْتَسَلَتْ وتَمدَّدَتْ في فِراشِها، وأَسلَمتْ الرُّوحَ مُسْتَبْشِرَةً بِلقاءِ أَبيها وَحَبيبِها رَسولِ الله. وَفَقَدَ الإمامُ بِفَقْدِها زَوجَةً صالِحةً، وأُمًّا حَنوناً طاهِرة، وشَريكةَ حَياةٍ، في رَيْعَانِ الشَّبابِ ونَضارَةِ الحَياة.

كانتْ هذه هيَ الرِّسالةَ الأخيرة للزهراءِ عَليها السَّلام، وكانتْ بحقٍّ درساً بَليغاً، وعِبرَةً للمُعتَبرين. فقد اختارَتْ أنْ تُشَيَّع وتُدفَنَ ليلاً في قبرٍ مَجهول، كي لا يَشْتَرِكَ في جنازَتِها من تَلَوَّثَ بالانْحِراف. واخْتارَتْ بِعَمَلِها هذا أنْ تُسجِّل اسْمَها في سِجلِّ المظلومين، لِيكونَ رَمزاً للظُّلمِ والحِرمانِ على مدى الأزمان.

عَلِمَ أهلُ المدينةِ بِموتِ بنتِ الرَّسول، فَعَمَّ الحُزنُ النَّاسَ، وتَقَاطَروا إلى بيتِها للصَّلاةِ عَلَيها وتشييعها، وكمْ كَانَتْ صَدمةً مُؤلمةً لهمْ حينَ عَلِموا أنَّ دَفْنَهَا قَدْ تَمَّ ليلاً، بعد أن صلَّى عليها عَليٌّ وَنفرٌ من أصحابِه.

وكانت هذه قصَّةَ فاطمة

نعمْ.. إنَّها قِصَّةُ فاطمةَ الكُبرى، فاطمةَ الطَّاهرةَ الزَّهراء.

إنَّها الابْنَةُ الوَحيدةُ التي بَقيتْ من أَثَرِ الرَّسول.

إنَّها التي أنجبتْ لأُمَّةِ الإسلامِ حَسَناً وحُسَيْناً وزَيْنَبَ الكُبرى.

إنَّها الزوجةُ التي وقَفتْ مع زَوجِها في خَندَقِه.

إنَّها بضعةٌ وَمِثالٌ من رسولِ الله، وعَظَمَتِه وفَضَائِله.

إنَّها أُمُّ الحَسَنِ والحُسَيْنِ، اللَّذَيْنِ في كُلٍّ مِنهُما عَليٌّ آخر.

فاطمةُ التي كانتْ أُمَّاً لِكُلِّ القادَةِ الأَبرارِ.

فاطمةُ التي عِلْمُها من عِلْمِ الرَّسول، ومَحَبَّتُها من مَحبَّتِه، وغَضَبُها منْ غَضَبِه.

فاطمةُ التي طَهَّرَها اللَّهُ سُبحانَه، فكانتْ الطُّهرَ في القَولِ والفِعل.

سَلامٌ على منْ قَدَّمت للإسلام خيرَ ما تُقَدِّمُهُ امْرأَة.

سَلامٌ على مَنْ هِيَ المِثالُ والقُـدوةُ في حياتِهـا وجِهادهـا واستشهادِها.

وسلامٌ على كُلٍّ منْ ســارَ سيرَتَهـا، ونَهَجَ نَهجَهـا، وخَطا في دَربِ الحقِّ على خُطاها.